بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيه وما يفتح الله به على القارئ من انوار
المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك الذوات التي تتنزه فيها الناهل
وذلك امر لا متناهي ابدا ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات
والايات البينات كلها استمروا على ما هم فيه من غاية الاعراض والانكار
فاظلوا فيه التردد والراي اي الشك عطف مرادف فقالوا كما حكاه
الله تعالى عنهم في كتابه فهو مليح مرة انه سحر اي تمويه لا حقيقة له
واصل السحر لغة كل ما لطف ماخذه ودق وقالوا مرة اخرى انه
افترا اي كذب ومرة اساطير الاولين الى غير ذلك من افترائهم
واقتراحهم ومباهتهم وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو والله
المتفضل بانزاله قران مجيد في لوح محفوظ لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه الاية وكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد
وانه لا عقل لهم ولا راي ولا استعداد لكن ليس ذلك بكثير على من عدم
التوفيق ولم يبصر سوا الطريق لما هو المقرر في العقول السليمة
ومن الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات اي الحجج القطعية
البرهان الواضحة البيان لم تغنهم اي تفدهم شيئا من
الهدى فالتماس الهدى بغاء اي طلبهم بتلك الحجج بعد الاياس
من ايمانهم عنا اي تعب لا يفيد شيئا واذا ضلت عن طريق
الحق العقول جمع عقل وتقدم الكلام عليه مستوفى على اي مع
علمهم منها بتلك الطرق اي اصلها بارئها فماذا تقوله
اي قول تقوله الانبيا النصحا وقولهم حينئذ لا يفيد شيئا والبيت
الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم

لا يومنون

لا يومنون والثاني من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه الى افلا
تذكرون وبما قررته به كلامه يعلم ان هذين البيتين من الكلام البديع
الجامع تنبيه لا يتوهمن من النظم انه مخالف لقول الائمة
اجمعت الائمة على التكليف بالمحال لغيره كتكليف ابي جهل مثلا
بالايمان مع علم الله تعالى بانه لا يومن وذلك لان التكليف بذلك
انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا عاقبتها فهم بالنسبة اليها
مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا
لعلم الله تعالى بانهم لا يومنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار
وثبت القول بالجبر المنافي لما جاءت به الشرائع فاحذر ان تميل
اليه فتزل قدمك وتحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فوائد منها قيل حكمة تنزيه القران عن الشعر
مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة انه قصارى امر الشعر التخييل
بتصوير الباطل في صورة الحق والافراط في الاطرا والمبالغة في
الذم والايذا دون اظهار الحق ولهذا انزه الله تعالى نبيه
عنه ومن ثم قال بعض الحكماء لم يتدين صادق اللهجة مفلقا
في شعره اي غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر ليس به لان شرطه
القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه
وقيل دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سيل
الغزالي رحمه الله تعالى عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف
الناس فيه بل نفي اختلافه في ذات القران فليس نظمه مختلفا